المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.59151/.v8i1.356

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 10-11-2023
تاريخ القبول: 20-2-2024

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في الدراسات الإسلامية والإنسانية

# الخلاص عند الغنوص:
## دراسة في تأثير الغنوصية المسيحية على تأويل المُعتقد

**منير تمودن**[1]
ytemo@hotmail.com

## الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن إشكالية طبيعة الفكر الغنوصي وحدود تباينه مع العقيدة المسيحية الرسمية، من خلال التركيز على مفهوم الخلاص الغنوصي، وتحليل بنية الأفكار العقدية التي اعتبرتها الكنسية المسيحية هرطقة، من قبيل الاعتراف بأن العالم المادي خُلق وفق إرادة شريرة، وسعي الروح إلى التحرر والارتقاء نحو الرفعة الإلهية، وصياغة مفهوم ضيق لكريستولوجيا المسيح الذي يرفض الغنوص أن يكون ذو طبيعة بشرية. معتمدين في ذلك على بعض المناهج العلمية التي تُناسب طبيعة بحثنا كالمنهج التاريخي والوصفي التحليلي، والمنهج المقارن. وقد خَلُص البحث إلى جملة من النتائج أبرزها: العنوصية تيار فكري ينشد المعرفة الروحة الباطنية؛ استمدت أصول عقيدتها من الروافد الشرقية، واعتمدتها منطلقا في تبرير أصل الشر في العالم، لحظة خلقه وفق إرادتين متعارضتين. رغم ذلك، حظيت الغنوصية المسيحية باهتمام كبير في أوساط الدراسات الدينية المقارنة فيما يتعلق بالتأمل الروحي والتأويل الرمزي، واستجلاء المعاني الروحية في باطن الإنسان.

## الكلمات المفتاحية:

الغنوصية، المسيحية المبكرة، العرفانية، الخلاص، الإله المادي.

(1) باحث مغربي متخصص في تاريخ الأديان والفلسفة الدينية والفكر الإسلامي، حاصل على الدكتوراه من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المملكة المغربية.

للاقتباس: **تمودن، منير**، الخلاص عند الغنوص: دراسة في تأثير الغنوصية المسيحية على تأويل المُعتقد، مجلة نماء، مركز نماء، مصر، مج8، ع1، 2024، 70-91.

© نشر هذا البحث بموجب ترخيص (CC BY-NC 4.0) المفتوح، الذي يسمح لأي شخص تنزيل البحث وقراءته والتصرف به مجانًا، مع ضرورة نسبته إلى صاحبه بطريقة مناسبة، مع بيان إذا ما قد أُجري عليه أي تعديلات، ولا يمكن استخدام هذا البحث لأغراض تجارية

OPEN ACCESS
Received: 2023-11-10
Accepted: 2024-2-20

دورية نماء
فصلية محكمة متخصصة في
الدراسات الإسلامية والإنسانية

# Salvation in Gnosticism:

## A Study on the Influence of Christian Gnosticism on the Interpretation of Doctrine

**Mounir Temouden**[2]
ytemo@hotmail.com

## Abstract:

The aim of this research is to address the problem of the nature of Gnostic thought and its boundaries of divergence from official Christian doctrine, through focusing on the concept of Gnostic salvation and analyzing the structure of the theological ideas that the Christian Church considered heretical. These ideas include acknowledging that the material world was created according to an evil will, the spirit's quest for liberation and ascent towards divine transcendence, and the formulation of a narrow concept of the Christology that Gnosticism rejects as having a human nature. We rely on certain scientific methodologies that are suitable for the nature of our research, such as historical and descriptive-analytical approaches, as well as comparative methodology. The research has resulted in several notable findings, including that Gnosticism is an intellectual trend that seeks esoteric spiritual knowledge. Its doctrinal origins can be traced back to Eastern sources, and it bases its justification for the origin of evil in the world on conflicting wills at the moment of its creation. Despite this, Gnostic Christianity has received significant interest in the field of comparative religious studies, particularly regarding spiritual contemplation, symbolic interpretation, and the exploration of spiritual meanings within the depths of the human.

## Keywords:

Gnosticism, Early Christianity, Mysticism, Salvation, Demiurge.

(2)- Moroccan researcher specializing in the history of religions, religious philosophy, and Islamic thought, holding a Ph.D. from Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fez, Kingdom of Morocco.

**Cite this article as:** Temouden, Mounir, Salvation in Gnosticism: A Study on the Influence of Christian Gnosticism on the Interpretation of doctrine, Journal of Namaa, Nama Center, Egypt, V8, issue 1, 2024: 70-91.

© This research is published under an open license (CC BY-NC 4.0), which allows anyone to download, read and use the research for free, provided it is properly acknowledged, indicating if any modification has been made to it. This research shall not be used for commercial purposes.

## مقدمة

يرتكز بحثنا على تحليل مفهوم الغنوص للخلاص وتحديد حدود ارتباطه بالمعتقد المسيحي، وتسليط الضوء على الأفكار الغنوصية الرئيسة التي أثارت استفزاز الكنيسة المسيحية الرسمية. تشمل هذه الأفكار الإقرار بأن العالم المادي خُلق وفقًا لإرادة شريرة، وسعي الروح إلى التحرر من قيود الجسد المادي والسعي نحو الرفعة إلى المستوى الإلهي من خلال العرفان والتجربة الروحية الذاتية، وصياغة مفهوم ضيق لكريستولوجيا المسيح الذي يرفض الغنوص أن يكون ذو طبيعة بشرية قد تألم وتوفي على الصليب؛ لهذا كان الإشكال الرئيس الذي شكل محور بحثنا يستقصي البحث عن طبيعة الفكر الغنوصي وتحديد حدود تباينه مع العقيدة المسيحية الرسمية.

من أجل الإجابة عن هذه الإشكالية في امتدادها الزمني وسياقها الموضوعي استدعى منا الأمر الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الموازية والمتفرعة من قبيل: ما منهج الخلاص عند الغنوص في سياق مقارن بالمعتقد المسيحي؟ ما الروافد التي أمدَّت الغنوص بأُسسه العقدية، جعلتهم يعتمدون الثنوية الشرقية كأساس لتأصيل الشر وتأويل أصل الوجود وتبرير التباين الحاصل بين عناصره؟ هل يمكن إدراج الغنوصية ضمن الأديان المستوفية شروط أركانها، أم اعتبارها مجرد تيار فكري وحركة فلسفية ونمط من التأمل الروحي الذي يسعى إلى تحقيق المعرفة والتجربة الروحية العميقة والتحرر الروحي؟ ما طبيعة الخلفية العقدية لغنوصيي المسيحية المبكرة التي شكَّلت تهديدًا حقيقيًا للاهوت المسيحي، جعلته يعتبر هذه الأفكار هرطقة وتجاوزًا محفزًا لاعتماد المنهج العقلي في الدفاع عن المعتقدات في العصر المسيحي المبكر؟

من أجل مقاربة هذه الإشكالية في أبعادها المختلفة، اعتمدنا المنهج التاريخي في سياق استدعاء الشواهد التاريخية، وتحديد الإطار الزمني لتطوُّر الفكر الغنوصي؛ ثم المنهج الوصفي التحليلي في سياق تحليل التأويلات التي أنتجها الغنوص وفق ثنائية قائمة على صراع قويتين بنفس القدر من التأثير والفعل يمثلها إله متعال مفارق (إله النور الروحاني) من جهة، وإله أدنى (الإله الصانع) من جهة أخرى؛ ثم أخيرًا، المنهج المقارن في سياق مقارنة مجمل هذه الأفكار بالمعتقد المسيحي وتحديد مجالات التباين بينهما.

لهذا، قسمنا بحثنا إلى ثلاثة محاور، تناولنا في الأول منه تحليل «منهج الخلاص بين الغنوصية والمسيحية» من حيث أن كلاهما يشتركان في نشدان الخلاص والمعرفة الإلهية، لكنهما يختلفان من

حيث منهج الوصول إلى هذه الغاية. وتناولنا في المحور الثاني«فلسفة الغنوص وأصوله الثنوية» تأويل أصل وجود العالم انطلاقا من مبدأ ثنوي اعتُمد كأساس في نسبة خلق العالم المادي إلى إله مستحوذ فاسد (إله العهد القديم) وفي صراع دائم مع الإله الأعلى (إله الغنوص)، وفق تراتبية منحدرة تجعل الموجودات تفقد طبيعتها الخيِّرة كلما ابتعدت عن العالم العلوي؛ ثم، أخيرًا، محور «الغنوصية في فكر الآباء المسيحيين» الذي مكَّننا من استثمار مخرجات المحورين السالفين لتحديد حدود اتصال الفكر العنوصي بالمعتقد المسيحي من خلال ثلاثة نماذج: باسيليد، مرقيون، وفالنتين.

جدل الغنوصية والمسيحية من المواضيع المثيرة للاهتمام في الدراسات الحديثة، ويشكِّل قيمة نوعية في فهم التطور التاريخي للمسحية المبكرة، وسياق تقنين عقائدها، وتأثيرها على الفلسفة واللاهوت المسيحي. إضافة أنه يسهم في توسيع وتنويع الفهم الديني والروحي، ويُعزز البحث عن المعرفة الروحية والتحرر الروحي. كما يعكس قدرة العقل البشري على تحفيز التفكير النقدي والتعامل مع التنوع الديني.

## تمهيد:

تُوِّج الصراع بين العقل والدين فترة المسيحية المبكرة بظهور فلسفة دينية[3] شكَّلت البنية الأساس في صياغة المعتقد المسيحي في القرون الخمسة الميلادية الأولى، ولئن ساهم هذا الاتجاه بشكل كبير في وضع مفهوم وِحْدة الكنيسة، فإن ظهور الهرطقات المسيحية Hérésies Chrétiennes[4]، سواء

(3) تجلت أولى بوادر اتصال الفلسفة بالدين انطلاق من الفكر الهُرمسي، حيث جرى نقل الفلسفة اللاهوتية، الذي ظهرت بوادرها مع أفلاطون واتضحت معالمها في فلسفة مدرسة الإسكندرية وفي الأفلاطونية المحدثة، إلى اليهودية والمسيحية. لهذا نجد أن أفكار فيلون الإسكندري Pilon d'Alexandrie في القرن الأول الميلادي اتخذت طابعا فلسفيا في التأويل الرمزي للتوراة، وفي نظرية اللوغوس وفي تبرير تجلي الحقيقة التوراتية في فترة سابقة من الزمن عن فلاسفة اليونان اعتبارا أنهم تلاميذ موسى أخذوا تعاليم التوراة على يديه. في القرن الثاني نجد أيضا بوادر نشأة فلسفة دينية مسيحية متأثرة بالأفلاطونية، نجدها خاصة عند يوحنا في تصوره لمفهوم «الكلمة»، وعند إكلمندس الإسكندري Clément d'Alexandrie في مزجه المعتقدات المسيحية بالمنطق اليوناني، وعند تلميذه أوريجين Origine في توظيفه مبادئ تأويل النص الديني في تفسير سفر التكوين.

يُنظر:

Brehier, Emille, Les Idées Philosophique et Religieuses de Philon d'Alexandrie, Paris, Librairie Alphonse Picard et Fils, (1908), p.70-71

Augustin, Saint, les Confessions, Livre.7, Traduction: L. Moreau, Paris, Gaume Frères et J. Duprey, (1860), p.219-220

Roehrich, Louis, Recherches Historique et Critiques sur Origène, Genève, imprimerie CH. gruaz, (1835), p.69-70

(4) الهرطقة مصطلح يوناني hairesis يعني «منتخب أو مختار»، استعمل في الأدب اليوناني للدلالة على كل جماعة انفردت بخصائص أيديولوجية معينة، وقد وظفته كنائس المسيحية المبكرة لتمييز الطوائف المسيحية المنشقة عنها عقائديا، نذكر منها الأريوسية التي أنكرت أن يكون المسيح من طبيعة الآب أو مساويا له في الجوهر، والنسطورية التي رفضت اتحاد الطبيعة الناسوتية واللاهوتية في شخصية المسيح لأن مريم العذراء لم تلد إلها بل ولدت إنسانا فلا يمكن أن تكون أم الإله. ثم البيلاجية وهي الطائفة التي أنكرت الخطيئة الأصلية. =

التي تمثلها الإيديولوجيات الغنوصية أو الفرق المُنشقة[5]، أَرَّخت لنوع من الصراع حول بلورة المعتقد وتقنينه. تجلى هذا الصراع من جهة في اللاهوت الغنوصي بصفته مذهبا دينيا توفيقيا يخلط بين معتقدات ديانات الأسرار والطقوس السحرية والمفاهيم اليونانية عن نشأة العالم، ويقدم تفسيرات اعتباطية للعهدين القديم والجديد[6]. أو في الأفكار الدينية التي زعزعت وحدة الكنيسية التي كانت لا تزال في طور صياغة علاقة ضامنة لأمن السلطة الرومانية.

وقد شكَّلت الغنوصية والانشقاق الديني أحد مسوغات تصور الكنيسة لمفهوم الهرطقة؛ إذْ «تُصبح القضية الهَرْطوقية هي تلك التي تدخل في تناقض مباشر وفوري، وعلى شكل تعارض أو تضاد، مع جزء من العقيدة المدونة في العهد الجديد، أو التي أقرتها الكنيسة»[7].

والواقع أن الانشقاق يُعتبر أقل خطورة من الغنوصية، اعتبارا أن الأول يسيئ إلى وِحدة الكنيسة بينما الثاني يسيئ إلى المعتقد. وقد كشف الجدل الدُوناتي[8] بالخصوص في القرن الرابع الميلادي عن فارق كبير بين الهرطقتين؛ ذلك أن هذا الخلاف رغم أنه يشمل طقوس العبادة إلا أنه لم يقدم تعارضا مع مبادئ الإيمان، فقد أوضح الدوناتي كريسكونيوس Cresconius هذا الفارق عندما أدرج الغنوصية ضمن الهرطقات الدينية المؤَلَّفة من جماعة تكون العقيدة عندهم متعارضة، بينما الانشقاق قطيعة بين جماعة توحِّدهم نفس العقيدة[9]. من هذا المنطلق يصبح المرجع الديني للغنوص، رغم ابتعاده عن تعاليم الكنيسة، غير متناف مع مبادئ الإيمان المسيحي.

تقوم الإيديولوجيا الغنوصية في أصولها على توفيق أقرب ما يكون إلى تلفيق بين آراء دينية متعارضة[10]، حيث أُثير في أوساط الدراسات الغنوصية العديد من الفرضيات حول وجود نسق

---

= وتعتبر عقائد هذه الطوائف من منظور المناهج الحديثة لنقد الأديان بمثابة الأصل الذي انحرفت عنها الكنائس المسيحية. يُنظر

Lindon Say Jones, Encyclopedia of Religion, Vol.6, USA, Editor in Chief, pp.3925-3927

(5) نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدوناتية والأريوسية والبيلاجية.

(6) ج. ويلتر، الهرطقة المسيحية، ترجمة: جمال سالم، بيروت، دار التنوير، (2007م)، ص.53

(7) المرجع السابق، ص.23.

(8) يُنظر مقالنا: تمودن، منير، مقاربة تاريخية لتبلور مفهوم سلطة الكنيسة: قراءة في تطور موقف أوغسطين من الإقناع إلى الإكراه في تدبير الانشقاق الدوناتي، قضايا في اللسانيات المعاصرة والدراسات الثقافية، فاس، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، (2018م)، ص ص.1-14

(9) ويلتر، الهرطقة المسيحية، ص.18.

(10) S. pétrement, La Notion de Gnostisme, Revues de Métaphysique et de Morale, Press Universitaires de France, Paris, no.4, (1960), p.385.

فلسفي ديني في هذا المذهب؛ إذْ يرى رادها كريشنان Radha Krishnan أن تعاليم الغنوص امتزج فيها التراث الشرقي القديم الذي يمثله خاصة التراث الهُرْمُسِي، بالتراث اليوناني التي تمثلها خاصة فلسفتي أفلاطون وفيتاغورس[11]، لهذا بدت الغنوصية فترة المسيحية المبكرة تيارًا توفيقيًا ساهمت، إلى جانب الفلسفة، في بلورة المعتقد المسيحي. عكس بعض الدراسات المعاصرة الأخرى التي اعتمدت على تحليل واستنباط الفكر الغنوصي الحقيقي من التأويلات الاعتباطية التي أخفاه بين طياتها آباء الكنيسة الأوائل، لتَخْلص إلى أن الفلسفة اليونانية لم يكن لها دورا يُذكر في إنتاج الفكر الغنوصي[12].

مع أن معتقدات الغنوص عن الخلاص والشر وما يماثلهما في الفلسفة المسيحية[13] توحي بما يشبه وجود فلسفة دينية، إلا أن هذا المشترك يجعلها أبعد ما يكون عن تيار فكري يتوخى الحقيقة باعتماد العقل والدين معًا؛ ذلك أن الفلسفة المسيحية أقامت تصورها للخلاص على شكل تأمل عقلي ينشد الإيمان، بينما الفكر الغنوصي أقام هذا التصور على مبدأ عرفاني يسمو بالنفس إلى العالم الإلهي المفارق للعالم المادي[14].

## 1- منهج الخلاص بين الغنوصية والمسيحية

يختلف منهج الخلاص في الغنوصية بشكل كبير عما تعكسه اليهودية والمسيحية والفلسفة، فإذا كان الخلاص في اليهودية يتأتى عن طريق الالتزام بالشريعة، وفي المسيحية من خلال الإيمان بالمسيح مُخَلِّصا، وفي الفلسفة اليونانية عن طريق منهج عقلي يتأمل أسرار الكون، فإن الخلاص الغنوصي يكون عن طريق معرفة (عِرْفانية) تنشد الإله انطلاقا من حدس باطني. وتنطلق هذه المعرفة من تجربة روحانية داخلية تقود إلى معرفة النفس، التي تقود بدورها إلى معرفة الطبيعة الإنسانية ومصير

(11) S.RadhaKrishnan, Eastern Religions and Western Thought, New York: Oxford University Press, A Galawy Book,( 1959), pp.198-202.

(12) برهييه، اميل، تاريخ الفلسفة: الفلسفة الهلنستية والرومانية، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، (1988) ص.306.

(13) يُعتبر أوغسطين (354-430م) أول الآباء الكنسيين الذي استعمل عبارة «الفلسفة المسيحية» في كتابه «ضد جوليان البيلاجي Contre Julien le Pélagien» للتعبير عن وحدة الحقيقة التي تجسدها المسيحية وينشدها العقل والوحي معًا.

يُنظر:

Augustin, Saint, contre Julien le Pélagien, livre.4, Œuvres Complètes de Saint Augustin, Traduction: M. L'abbé Berleraux, Tome.16, Bar-Le- Duc: L.Cuérin Editeur, (1804), p.184.

منير تمودن، جدل الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مجلة مقاربات، المجلد.12، العدد23، فاس، (2016م)، ص.125.

(14) برهييه، اميل، تاريخ الفلسفة: الفلسفة الهلنستية والرومانية، ج.2، ص.306.

الإنسان، وفي أعمق مستوياتها تقود إلى معرفة الإله، وخلال هذا المستوى يتحقق تحرر النفس حبيسة الجسد المادي، واتحادها بالأصل الإلهي[15].

هذا المنهج العرفاني ورد صريحا في العديد من الكتابات الغنوصية، من ذلك ما يوحي به ثيودوتيس Theodotus(عاش حوالي 140م-160م): «أن الغنوصي هو من يتوصل باعتماد الحس الباطني إلى معرفة من نحن، وأين كنا، وما هو خلاصنا، وما هو الميلاد الأول (النفس حبيسة المادة)، وما هو الميلاد الثاني (التحرر من المادة)»[16]. وفي سياق مماثل يصرح مُونْوَامُوس Monoimus: «اترك البحث عن الإله في العالم المادي جانبا، واجعل من نفسك بداية البحث عنه، واهتد إلى ما بداخلك، واستعن بإلهك وعقلك وأفكارك وروحك وجسدك، وتَعَرَّف على مصدر الحرن والحب والكراهية، فإن واجهت نفسك بهذه الأسئلة تجده في ذاتك (أي الإله)»[17].[18].

ففي حين أن الأناجيل المسيحية بلورت مفهوم الخلاص بشكل يجعل من الطبيعة البشرية عاجزة عن تحرُّرها من شوائب الشر إلا بتدخل فعل إلهي تَدَرَّج من خلاله الإله من مقام الألوهية إلى مستوى المادة (المسيح)؛ نجد الغنوص يسلك سبيلا معاكسا تسمو من خلاله النفس إلى مستوى الإله. وقد شكل تعارض المنهجين أحد مبررات إقصاء الكنيسة المسيحية للأناجيل الغنوصية. من النماذج التي تعكس هذا التعارض قول المسيح في إنجيل يوحنا: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي»[19]؛ مع قوله في محض إجابته على أسئلة أحد أتباعه: اكشفْ لنا المكان الذي أنت فيه؛ لأن من الضروري أن نبحث عنه، فقال لهم: من له أُذُن فليسمع، بداخل كل واحد منكم نور داخلي بواسطته يضيء العالم، لكن متى غاب هذا النور، حَلَّت الظلمة (أي غابت حقيقة الإله عنكم)[20]. هذا القول فيه إحالة إلى وجود إشراق ونور داخلي تجعل من النفس مُنْطَلَق كل معرفة، وهو ما يطابق إلى

(15) السواح، فراس، الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية، دمشق، دار علاء الدين، (2004م)، ص. 66.

(16) Pagels, Elaine, The Gnostic Gospels, New York, Vintage Books. A division of Random House. Inc, (1989), p.xix.

(17) Ibid, p.xix-xx.

(18) شكَّلت المعرفة الباطنية الغنوصية إحدى أسس براهين إثبات أوغسطين وجود الإله، ينطلق هذا البرهان من إدراك داخلي مباشر يجعل من كل نفس حاوية بطبعها كل الحقائق الإلهية، بما في ذلك حقيقة الإله نفسه، هذا المنهج العرفاني متضمن في كتابه «الاعترافات»: وغاب عن أعيننا (أي الإله)، لكي نعود إلى أنفسنا ونجده فيها، أنظروا في قلوبكم تجدوه فيها. يُنظر:
Augustin, Saint, les Confessions, Livre.5, op.cit, p.127-128.

(19) يوحنا 14: 6.

(20) Dart,John and Riegert, Ray, The Gospel Of Thomas: Unearthing The Lost Word Of Jesus, Oxford University Press, Ulysses Press, (2000), p.29.

أبعد حد قول المسيح في أحد المصادر الغنوصية: من يجهل نفسه لا يعرف شيئًا، لكن متى عرف نفسه توصل إلى معرفة الحقيقة الكلية[21].

الغنوصية، إذا، مذهب لاهوتي قائمٌ على العرفانية كمبدأ يفسر الظواهر الكونية ويقيم تمييزًا للنفس كسبيل للخلاص. وينعكس هذا المبدأ بشكل واضح في المقاربة الإثيمولوجية للمصطلح، حيث تُشتق الغنوصية من الغَنُّوص *Gnose* التي تعود بجدورها إلى الأصل اليوناني (*Gnosis*) ومعناها المعرفة، واستعملت أيضًا بمعنى العلم أو الحكمة، وتُترجم إلى العربية بمعنى «العِرفان»[22]، والفرق بين العِرفان والعِرفانية هو أن الأول حالة خاصة بنخبة من البشر تُعنى بمعرفة الأسرار الإلهية، بينما العرفانية أشبه ما يكون بمذهب ديني اكتملت ملامح نضجه في القرن الثاني الميلادي[23]، تجعل من المعرفة الباطنية أسمى من المعرفة العقلية التي تمثلها الفلسفة اليونانية أو من المعرفة الإيمانية التي تمثلها المسيحية بالخصوص.

والواقع أن تباين المنهجين الغنوصي والأديان الخَلاصية -المسيحية بالخصوص-، أَشْكل على المؤرخين إدراج الغنوصية ضمن الأديان السائدة في القرن الثاني الميلادي، وأُثِير الاهتمام بهذا التباين من طرف العديد من الدراسات التي تناولت تحليل مناهج الغنوص سواء من حيث المبدأ العرفاني أو من حيث احتقار العالم المادي وتعظيم الكائن الإلهي بغية مقارنتها بالإطار العقدي الذي يشكل الأديان بصفة عامة، من ذلك مقارنة سيمُون بِتْرَمَنْت Simone Pétrement بين أصول المعرفة الغنوصية ومثيلتها في الديانات الخَلاصية. يقول بِتْرَمَنْت: «عندما نتحدث عن الحقيقة اللاهوتية من منظور الديانات المنتشرة، فإن جانبا كبيرا من معتقداتها يخضع إلى منطقي عقلاني، لا سيما مفهوم الخلاص. هذا المفهوم وإن اختلفت أنماطه إلا أنه يقوم على مبدأ إيماني أقرب إلى استدلال فلسفي. فهذا المبدأ يغيب تماما في المعتقد الغنوصي الذي لا ينشد هذه الحقيقة إلا في إطار معرفة حدسية باطنية أبعد ما يكون عن استدلال إيماني أو عقلي، لهذا لا يمكن اعتبار الغنوصية مذهبا دينيًا مستقلًا»[24].

ويظهر من جهة أخرى فشل العرفانية الغنوصية في تأسيس مذهب ديني من جهة احتقار العالم المادي،

(21) The Book of Thomas The Contender, translation: John D. Turner, The Nag Hammadi Library, San Francisco: Harper Collins, (1990,) p.189.

(22) S. pétrement, La Notion de Gnostisme, op.cit, p.390.

(23) الماجدي، خزعل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، (2014)، ص.236.

(24) S. pétrement, La Notion de Gnostisme, op.cit, p.391.

وتفسير بناءً على مفاهيم أسطورية وأسرار خفية كالتنجيم والسحر، فالبنية الغنوصية ابتعدت أقصى ما يمكن عن مجرد محاولة الجمع بين المنهجين الفلسفي والديني الذي يمثله بالخصوص فكر فيلون الاسكندري Philon d'Alexandrie أو المعتقد المسيحي، بقدر اقترابها من التعبير عن إحساس الغنوص بتفاهة العالم الواقعي المادي، وسعيهم لإنشاء تصور بديل عن عالم كوني يُقصي المادة والمحسوس[25].

## 2- فلسفة الغنوص وأصوله الثنوية

أُثيرت في أوساط الدراسات الغنوصية إشكالية وجود إيديولوجية غنوصية سابقة على المسيحية ذات ملامح عقدية دينية واضحة. وتعود أولى الأفكار الغنوصية إلى المدونات الهُرْمسية القديمة[26] التي انتشرت بداية القرن الثاني قبل الميلاد، حيث تضمنت هذه المدونات مجموعتين من الأفكار، الأولى هي الكتابات الشعبية التي تحتوي على عقائد السحر والتنجيم والكيمياء، والثانية تلك التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي والتي تضم لاهوتا على نمط الديانات الخَلَاصية[27]، حيث تظهر في الجانب الثاني بالخصوص النزعة العِرفانية بادية من خلال الأفكار التي تناولت الشر القابع في العالم المادي وتوق النفس إلى تحررها منه وسموها إلى الإله. نجد مثل هذه النزعة في القول الموجه إلى هُرْمس Hermes: «إذا أرتَ أن تُدرك الإله، اجعل نفسك مساويًا له، حتى تصبح لا متناهيًا، وتحرر من شوائب المادة المحصورة بالزمان والمكان، لأن الشبيه لا يدركه إلا الشبيه. وإذا استسلمت لشهوة الجسد أصبحت سجينا لها وجهلتَ الإله. وإذا قلتَ إنني عاجز عن الفهم، ولا أعرف من أكون وماذا سأكون، وآمنت بهذه الأفكار الجوفاء، تكون قد بلغت أفظع الرذائل. أعلم أن طريق الإله هو أن تصبح قادرا على نشدان المعرفة، محبا لها، باحثا عنها وتوَّاقا لها»[28].

---

(25) إ.س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية: خفايا القرون، ترجمة: حسان مخائيل إسحاق، دمشق، دار علاء الدين، (2008م)، ص.177.

(26) هي مجموعة من المعتقدات الدينية والأفكار الفلسفية التي يُعتقد أنها أُلفت في الفترة المنحصرة بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي، وتنسب إلى«هرمس المثلث العظمة Hermés Trismégisme» أو «هرمس العظيم ثلاثا» وهي شخصية تضاربت الآراء حول أصلها، ينسبها المصريون القدماء إلى أخنوخ، واليونانيين القدماء إلى إرميس، والمسلمين إلى النبي إدريس، بينما يذكر هيرودوت أن هذه المؤلفات هي مجموعة من المُتُون التي كتبها أصحابها بإلهام من الإله المصري طوط Thot في العصر البطلمي (حوالي القرن 4 ق.م)، وقد تم ترجمتها من اللغة المصرية القديمة إلى اللغة اليونانية بفضل كهنة مصريين يتقنون اللغة اليونانية. يُنظر:
ميرسا إلياد، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، الجزء.2، دمشق، دار دمشق، (1987م)، ص.322.
Lindon Say Jones, Encyclopedia of Religion, Vol.6, USA: Editor in Chief. Thomson Gale, (2005,) p.3938.

(27) إلياد، ميرسا، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، الجزء. 2، ص.322.

(28) A.J. Festugiere, O.P, La Révélation d'hermès Trigemeste: Le Dieu et La Gnose, vol.4, Paris, Les Belles Lettres, p.148-149.

شكَّل البحثُ عن أصول الغنوصية اهتمامًا كبيرًا بالنسبة للدراسات المهتمة بها؛ إذ إن القول بوجود غنوصية سابقة على المسيحية سواء التي تمثلها الهُرمسية أو اليهودية الغنوصية وتندرج ضمن إطار عقدي منظم، يصعب تأكيده في ظل غياب المصادر التاريخية[29]، وكل ما احتوت عليه كتبة نجع حمادي[30] من أفكار يهودية مبثوثة في نصوصها لا يمكن إدراجها ضمن الغنوصية؛ إذ إن أولى النصوص التي تعكس هذه الأفكار تُشير إلى أن أنها أُنتجت خلال القرن الثاني الميلادي، أي في فترة لاحقة عن تأسيس الفكر اليهودي، وهي الفترة التي امتدت فيها المسيحية الغنوصية وانتشرت، أما عن الشخصيات التوراتية التي وردت في نصوص نجع حمادي، التي تنتمي كلها إلى الإصحاح الأول من سفر التكوين من جيل آدم إلى جيل نوح، فقد استعانت بها المسيحية الغنوصية دون غيرها في سياق مطابقتها بين الإله المادي *Démiurge* والإله يَهْوَهْ[31]، وفي سياق حطها من قيمة العالم المادي الذي يمثله هذا الإله بما هو انعكاس للشر (المادة).

على هذا النحو، لا يوجد أي إثبات تاريخي يؤكد قيام نظام يهودي غنوصي واضح المعالم قبل ظهور المسيحية الغنوصية، لهذا كان الأصوب الحديث عن إرهاصات غنوصية وجماعات غنوصية صغيرة غير منتظمة[32]. مثل هذه الإرهاصات ظهرت في بعض الجماعات التي افتُتنت بالأفكار الهُرمسية أو بأفكار بعض الشخصيات التي انفردت بنشر تعاليم الغنوص محاولة اجتذاب الأتباع على شاكلة ارتباط الجماعات المسيحية المبكرة بالمسيح.

---

(29) عكس هذا الفرض، يرى المتخصص في الدراسات الغنوصية كوت رودولف Kurt Rudolph أن المادة التوراتية التي احتوتها مكتبة نجع حماي تعكس جانبا كبيرا من الفكر الغنوصي اليهودي، رغم ما تتضمنه هذه النصوص من تفسير أسطوري تقليدي للتوراة يحط من قيمة العالم المادي ومن شأن إله العهد القديم (الاله المادي الصانع) وشريعته التوراتية، مقابل تمجيد الإله الأعلى الخفي (إله العهد الجديد). يُنظر:

Kurt Rudolph, Gnosis: The Nature and History of Gnosticsm, translation: Robart McLachlan Wilson, New York, Harper San Fransisco, (1984), p.277.

(30) يرجع تصورنا الأكمل عما كتبه الغنوصيون بفضل الاكتشافات التي جرت في نجع حمادي سنة 1945م، حيث اكتُشف هناك على أيدي العرب المحليين مجموعة من المخطوطات تعكس تراثًا غنوصيًا يعود إلى حوالي 350م-400م. والواضح أنه تم إخفاء هذه المخطوطات في العصر الذي انتصرت فيه الكنيسة، ولُوحق الغنوصيون بصفتهم هراطقة. وقد أثارت هذه المخطوطات جدلا في الدراسات العلمية حول زمن كتابة نصوصها الأصلية أو النصوص التي ترجمت هذه المخطوطات أو التي نُسخت عنها. يُنظر:

إ.س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية: خفايا القرون، ص.177-178.

The Nag Hammadi Scriptures, The Gnostic Scriptures Complete in one volume, Edition: Marvin Meyer, New York, H. Pagels. HarperOne, (2008,) pp.2-4.

(31) فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية، ص.75.

(32) المرجع السابق، ص.75.

نشير إلى أنه جرى، على امتداد فترة من الزمن، النظر إلى سمعان الساحر Simon Magus في القرن الأول الميلادي[33] على أنه أول الغنوصيين الذين ظهروا في فترة المسيحية المبكرة، وورد ذكره في أعمال الرسل في معرض استعمال السحر لاجتذاب العديد من الأتباع[34]، معلنًا للسامريين أن الإله تجلى فيه بصفته آبا، وفي المسيح بصفته ابنًا، وفي العالم بصفته روحَ قدسٍ[35]. فمُمارسة السحر وتحقيق الخلاص انطلاقا من محاكاة ارتقاء المسيح من الطبيعة البشرية إلى مرتبة الإله، اعتُبر أهم أساليب اجتذاب الأتباع. وقد شكَّل مثل هذا القول أهم مسوغات اعتراض آباء الكنيسة الأوائل الذين كانوا في طور بلورة وتقنين هذا المفهوم، نجد مثل ذلك في ردّ يوستينوسSt. Justin على أفكار سمعان الساحر: وكان رجلًا يدعى سمعان من قرية اسمها جيتا أَجْرَى أعمال سحر عظيمة، وقد دعوه الناس إلها وكرمتموه كإله عندما بَنَيتُم له تمثالا، وكتبتم عليه باللغة الرومانية «سيمون الإله المقدس»، ويَتَعبد له كل السامريون تقريبا، وأيضًا بعض الناس من مناطق أخرى ويدعونه الإله الأول[36]

والواقع أنه بالإضافة إلى هذا القول، شكَّلت الغنوصية المسيحية في القرن الثاني الميلادي استفزازًا حقيقيا للمعتقد المسيحي من حيث إنها أقامت تصورًا لوجود العالم المادي والخلاص المسيحي على مبدأ ثنوي Dualisme[37] ينسب خلق العالم المادي الفاسد إلى إله مستحوذ شرير(إله العهد القديم) وفي صراع دائم مع الإله الأعلى (إله الغنوص).

تنطلق ثنوية الغنوصية المسيحية من افتراض وجود عدد كبير من الأرواح الإلهية التي صدرت عن العقل الأول في تراتبية منحدرة نحو الأسفل ومتضائلة في الألوهية كلما ابتعدت عن مبدئها الأول، اصطُلح على هذه الأرواح في المصادر الغنوصية بالأيونان *Aeons*[38] (بمعنى الخالد)، لاشتراكها في صفة

(33) سامري معاصر للمسيح، تحول إلى المسيحية بعدما لقى التعميد سنة 36م على يد فيليب أحد أتباع المسيح السبعة، يُروى أن بطرس الرسول وبَّخه وعرض عليه أموالا مقابل تخليه عن أعمال سحرية تدعي أنها تبعث الروح القدس في الجسد بمجرد وضع الأيدي، وهي الخطيئة التي سميت بـ«السيمونية» نسبة الى اسمه. أصبح لاحقًا عدوًا للمسيحية، حيث أدرجت الكنائس المسيحية أفكاره ضمن المعتقدات الغنوصية والهرطوقية. يُنظر:
يوستينوس، الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى، ترجمة: أمال فؤاد، القاهرة، دار باناريون،(2012م)، ص.54.

(34) وَكَانَ قَبْلًا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ، يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهِشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ، قَائِلًا إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيم. وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: «هذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ». وَكَانُوا يَتْبَعُونَهُ لِكَوْنِهِمْ قَدِ انْدَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلًا بِسِحْرِهِ. يُنظر: أعمال الرسل 8: 9-10-11

(35) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، تاريخ الفلسفة اليونانية، بيروت، دار القلم، (1990م). ص.256.

(36) يوستينوس، الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى، ص.54.

(37) معتقد غنوصي يرمز إلى وجود مبدأين متناقضين يتصارعان العالم، يُعبَّر عنهما بالخير والشر، أو النور والظلمة.

(38) تُشير عند الغنوصيين والأفلوطينيين إلى نوع من القوى الأزلية الصادرة عن المبدأ الأول –الله-، التي تشترك مع هذا الإله في =

الخلود مع العقل الأول. وقد حاولت صوفيا*Sophia* أو *Ennoia*، إحدى هذه الأيونات، أن تسلك منحى معاكسا لهذه التراتبية وتعرج إلى مرتبة «العقل الأول»، فطُردت خارج العالم المعقول وانتفت منها الطبيعة الإلهية، وكرد فعل لهذا الانتفاء صنع هذا الأيون العالم المادي المحسوس بما هو انعكاس للمادة الفاسدة، وسَجَن النفوس البشرية ذات الأصل الإلهي والصادرة عن الأيونات الخيّرة داخل هذه المادة[39].

من هذا البعد الأنطولوجي، ابتكرت الغنوصية حلا لأصل الشر في العالم، ينطلق من تصور لفكرة إله متعال يمثله عالم النور الروحاني، وإله أدنى يمثله إله العهد القديم الصانع Démiurge بما هو مصدر الشر في الوجود[40]. فأصل الشر عند الغنوص يختلف عما ورد في المسيحية، من حيث أن المسيحية ترى أن الشّر عنصر دخيل عن العالم نتيجة الخطيئة الأولى، في حين أن الغنوصية جعلت أصله ناتجا عن عملية الخلق نفسها. فوضع الإنسان ليس خاطئا منذ البداية، إنما فساد الإله الصانع جعل النفس سجينة المادة جاهلة معرفة الإله الأعلى. من هذا المنطلق ارتبط الخلاص الغنوصي بالعرفانية، كممارسة حدسية باطنية يُكشف من خلالها الجهل عن النفس الإنسانية على أمل أن تعود إلى مقامها الإلهي مُدْرِكة طبيعتها الروحانية[41].

رغم أن هذه الأفكار لم ترق إلى مستوى تأسيس مذهب ديني متكامل إلا أن تمثُّلاتها ظهرت بشكل واضح في مسيحية القرن الثاني الميلادي (بالخصوص باسيليد وفالنتين ومرقيون)، بحيث اعتبرت الأساس في صياغة تصور عن وسيط مخلص يختلف تماما عن مسيح الجماعات المسيحية المبكرة، إذْ أن المهمة التي أنيطت بالوسيط المسيحي اقتضت أن يتدرج المسيح نفسه من العالم الأعلى إلى العالم السفلي ويتألم يموت على الصليب، بينما ارتبط الخلاص الغنوصي بنوع من العناية الإلهية يُوجه من خلالها المسيح الغنوص إلى طريق العرفان[42].

---

= الخلق. يُنظر:

جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء.1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، (1982م)، ص.189.

(39) يُنظر :

Bianchi, Ugo, Les Origines du Gnosticisme, Le Colloque International Sur les Origines du Gnosticisme, Numen, Vol.13, Fasc.2, (1966), p.154.

خزعل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ص.246.

(40) فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية، ص.71.

(41) S. pétrement, La Notion de Gnostisme, op.cit, p.396.

(42) فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية، ص.72.

## 3- الغنوصية في فكر الآباء المسيحيين

تعود معرفتنا لآراء الغنوص إلى ما تركة أباء الكنيسة الأوائل في سياق الجدل الغنوصي المسيحي الذي عرفه القرن الثاني الميلادي، غير أن ما تضمنته هذه المصادر يفتقر إلى الموضوعية على اعتبار أنها أُلفت في أطار دفاعي يغلب عليه التشويه. ويعتبر ما تركه إيراناوس Irénée (ولد حوال 202م) من خلال كتاب «ضد الهرطقة»[43] أو ما كتبه يوستينوس في كتاب «الدفاعان»، أو ما حفظته لنا بعض المصادر التاريخية مثل «تاريخ الكنيسة»[44] ليوسابيوس القيصري Eusèbe de Césarée، أهم ما يمكن أن نقف عليه حول أفكار الغنوص.

### 3- 1- باسيليد Basilide

إذا كان من الصعب الوقوف على تاريخ دقيق لحياة باسيليد، فإن المصادر التاريخية تُشير إلى أن أفكاره انتشرت في الإسكندرية ما بين 120 و140م[45]، حيث شكَّل اهتمامه بالخطابة والتعاليم المسيحية والفلسفية أحد أسس التأثير في بعض الجماعات المسيحية المبكرة[46].

وضع باسيليد لاهوتًا غنوصيًا معقدًا مستمدًا من الميثولوجيا الفارسية والأفكار الأفلاطونية التي اختلط جزء كبير منهما بالمعتقد المسيحي، جعله يعتقد أن مسألة الشر بصفتها عنصرًا مفارقًا للإله الأعلى لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون العناية الإلهية مصدره أو أحد أسبابه[47]، لهذا ما يلبث أن يقول: لكم ما شئتم، إلا أن تلقوا تبعة الشر على عاتق العناية الإلهية[48].

والواقع أن في هذا القول تظهر الثنوية التي تميز بين إله الخير وإله الشر، التي ترجع تاريخيًا إلى معتقدات ما قبل المسيحية الغنوصية، حيث نجد أن الزرادشتية أقامت في وقت سابق تمييزًا بين الإله أهورا مازدا Ahura Mazda ممثلًا للخير، والإله أهريمان Ahriman ممثلًا للشر، ويتصارع الأول في مهمة خلاصية مع الثاني لبسط النور والخير في العالم المحسوس[49]. والمُرجح أن يكون باسيليد قد استمد

(43) يُنظر:
Irénée de Lyon, Contre Les Hérésies, Traduction: F. Sagnard. O.P, Paris: Edition du Chef, (1952).

(44) يُنظر:
يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة، (1998).

(45) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص.256.

(46) خزعل الماجدي، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، ص.344.

(47) Monceaux, Paul, Les Gnostiques. Deuxième article (E. De Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Document du Gnosticisme Chrétien aux IIe et IIIe Siècles), Journal des Savants, 16e années, (1918), p.71-72.

(48) برهييه، اميل، تاريخ الفلسفة اليونانية: الفلسفة الهلنستية والرومانية، الجزء.2، ص.307.

(49) النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية القاهرة، دار المعارف، (1995)، ص.81.

هذه الأفكار، متأثرا بالنسق الأفلاطوني الذي يضع اعتبارا للخير الأسمى(إله الخير الافلاطوني)، رافضا أن يكون الإله خالق الشر أو مصدره.

صاغ باسيليد تصورًا أنطولوجيًا لنظرية الخلق يفسر من ناحية الهُوة القائمة بين الإله الأعلى والعالم المادي، ومن جهة أخرى يقيم تفسيرًا لوجود الشر. ينطلق باسيليد من افتراض وجود ثلاثة عوالم مُتَراتبة ومركبة، العالم الأول عالم الإله الأعلى وهو عالم الخير لأنه يتضمن كل مبادءه وأسبابه؛ وعن هذا العالم صدرت مجموعة من الأيونات الفُرادية وفي تراتبية منحدرة نحو العالم الثالث (العالم المادي)، بدءا من «العقل» و«اللوغوس» و«الفهم» الذين صدروا عن الإله الأول، وصولًا إلى الأيون الخامس والستين بعد الثلاثمئة، حيث يمثل الأيون الأخير إله العهد القديم (الإله يهوه) الذي انفرد بخلق العالم المحسوس بما في ذلك السماء والملائكة والإنسان، واختار له شعبًا خاصًا بواسطته يُخضع جميع الإنسانية لسلطانه[50]. وكخلاص للنفس الإنسانية من سجن المادة التي صنعها يهوه، أرسلَ الإلهُ الأعلى المسيح الصادر عن أيون «العقل» لتوجيهها نحو التحرر باعتماد العرفان.

ارتباطًا بأصل الشر وبكريستولجيا المسيح، ينفي باسيليد أن يكون المسيح إنسانا أو أنه اتَّحد بجسم أثناء انحداره إلى العالم المحسوس، اعتبارا أن طبيعته اللاهوتية الخيِّرة تنفي عنه الاتحاد بالمادة بما هي انعكاس للشر. من هذا التصور أقام باسيليد تصورا لمعتقد مسيحي غنوصي لا يعترف بالعهد القديم ويحتقر يهوه ويصوره مستحوذًا قاسيًا اتجاه شعبه، بينما المسيح لا يمكن أن يكون قد اتَّحد بالجسد أو صُلب أو مات، إنما ظهر في شِبْه جسد[51].

### 2-3- فالنتين Valentin

تأثرت ثنوية فالنتين (100م-160م)[52] في تصورها لصدور العوالم المتعددة (الأيونات) عن المبدأ الأول (الإله الأعلى)، إلى حدٍّ كبير بثنوية باسيليد، غير أن هناك اختلافًا بينهما من حيث طريقة صدور الأيونات أو الموجودات، فبينما يرى باسيليد أن هذه الأيونات صدرت بدءًا من الإله الأعلى بشكل

(50) Monceaux, Paul, Les Gnostiques. Deuxième Article (E. de Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Documents du Gnosticisme Chrétien aux IIe et IIIe Siècles), op.cit, p.70.

(51) Ibid, p.70.

(52) ولد فالنتين بمنطقة دلتا المصرية من أسرة ذات أصول يونانية سنة 100م، تلقى تعليمه بالإسكندرية، مركز العلوم والفكر الأفلاطوني والهُرمسي، اتخذ من التيارات الفكرية والدينية السائدة مبدءًا لبلورة مسيحية غنوصية جعلته يعتقد أنه المفسر الحقيقي لتعاليم المسيح، والأرجح أن معرفته بالمسيحية تمت وفق ما نقله إليه أستاذه ثيوداس من تعاليم المسيح وتعاليم بولس السرية، وقد شكل هذا سببا في ترشيحه أسقفا لروما أواسط القرن الثاني الميلادي. عموما شكلت تعاليمه الغنوصية انشقاقًا تامًا عن اليهودية والمسيحية بما يقدمه من احتقار لإله العهد القديم وتصور أسطوري لمعتقدات العهد الجديد وكريستولوجيا المسيح. يُنظر:
السواح، فراس، الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية وإله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية، ص.80.

فُرادي تراتبي[53]، نجد فالنتين يرى أن الصدور كان ثنائيا زوجيًا، من ذلك قوله: انتشرت الحياة الإلهية بصدورات مزدوجة لا مفردة[54].

اعتَبَر فالنتين أن الإنسان، بما هو روح وجسد، يعكس بطبعه ثنائية أعمق يمثلها الإله الصانع التي يتحدث عنه سفر التكوين والإله الأعلى الذي يمثل مصدرَ الخير، وفي ضوء تأويل سفر التكوين واقتباس بعض تأويلات فيلون الاسكندري، يؤلف فالنتين قصة الخلق وفق مبدأ ثنوي قائم على المهمة الخلاصية للإله الأعلى الذي يحرر النفس البشرية من شوائب الشر التي حدثت أثناء عملية الخلق نفسها[55].

من هذا المنطلق يُقيم فالنتين تصورا للوجود يرى من خلاله أن الإله الأعلى صدر عنه ثلاثون أيونا بشكل ثنائي زوجي منحدرة نحو العالم السفلي، أثناءها ينبثق كل زوج أيوني عن الذي يسبقه بفعل الشهوة التي وُضعت فيه، وصولًا إلى الأيون الأخير(صوفيا) الذي عصا الطبيعة الإلهية لما أراد أن يَلدَ أيونًا من دون أن يكون له زوج، محاكيًا في ذلك أحادية الإله الأعلى وجاهلًا أن هذا الإله غير مخلوق بينما طبيعته مخلوقة. من هذا الخطأ الأنطولوجي، وضد الإرادة الالهية، صنع الإله الصانع (صوفيا)[56] العالم المادي كوعاء للجسد الفاسد وكسِجْنٍ للروح الطيبة والخيرة معًا[57].

لا يقتضي الخلاص، في هذا السياق، أن يخلص الإله الأعلى الإنسانية من بؤس وفساد العالم المادي، إنما الخلاص بمفهومه الفالنتيني يقتضي تحرير النفس البشرية وتوجيهها إلى طبيعتها الخيِّرة التي كانت تجهلها قبيل خلق العالم المادي لما كانت على اتصال دائم بالإله الأعلى (أسمى مستويات الألوهية). لهذا حُدِّدت مهمة المسيح -وسيط الإله الأعلى- لا في خلاص البشر من شر العالم المادي، إنما في نوع من العرفان، تعرج من خلاله نفس الإنسان إلى طبيعتها الأصلية في العالم الإلهي[58]. فرغم أن هذا العرفان ذو طابع فردي في أساسه ويؤدي إلى خلاص فردي في نهايته، إلا أنه يقود إلى خلاص شامل جماعي إذا ما اشترك فيه النوع الانساني.

---

(53) Monceaux, Paul, Les Gnostiques. Deuxième Article (E. de Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Documents du Gnosticisme Chrétien aux IIe et IIIe Siècles), op.cit, p.71-72.

(54) كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص.257.

(55) النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، ص.83.

(56) نظرًا لفساد طبيعة الإله الصانع Demiurge يرفض فالنتين أن يكون هذا الإله صدر عن فعل «انبثاقي» للأيونات من حيث أن هذا الفعل خير ينطبق مع الإرادة الخيرة للإله الاعلى، لهذا يعتقد فالنتين أن الإله الصانع وكنتيجة لإرادته الشريرة صدر نتيجة «طره» Expulser من المجموعة التي تضم كل الأيونات والتي تسمى البلوريوم Plérome. يُنظر:

Irénée de Lyon, Contre Les Hérésies, Livre.3, op.cit, p.243.

(57) Monceaux, Paul, Les Gnostiques. Deuxième Article (E. de Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Document du Gnosticisme Chrétien Aux IIe et IIIe Siècles), op.cit, p.71-72.

(58) مصطفى النشار، مدرسة الإسكندرية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، ص.83.

### 3-3- مرقيون Marcion

ولو أن المصادر المسيحية غالبًا ما تصنف مرقيون (توفي سنة 160م) ضمن هراطقة القرن الثاني الميلادي من حيث أنه أنتج فكرًا غنوصيًا قائم على مبدأ ثنوي، فإن بعض الدراسات الأكاديمية الحديثة جعلت منه فيلسوفا لاهوتيا ومفسرا للكتاب المقدس[59]. يرتكز هذا التصنيف في جزء مهم منه على مفاهيمه التأويلية للعهد القديم والجديد، والتي تُوِّجت بصياغة «إنجيل مرقيون» الذي يخالف مضمونه المفاهيم العقدية المدوَّنة في الأناجيل القانونية، إضافة إلى تأسيس كنيسة قوية التنظيم اجتذبت العديد من الأتباع وبقيت تشكل في آسيا الوسطى إلى حدود القرن الخامس الميلادي أهم معارضة للكنيسة المسيحية الكاثوليكية[60].

لا تعترف المرقيونية بوجود الأيونات كوسطاء منبثقة عن المبدأ الأول، ولا تضع تصورًا معقدًا للوجود كالذي وضعه باسيليد وفالنتين، إنما تُقِّر بنوع من الثنوية التي تعتمد على الفصل الكلي بين مضامين العهدين القديم والجديد؛ ذلك أن إله العهد القديم يهوه ليس الإله/الآب الذي ورد في تباشير المسيح، بل هو صانع المادة في العالم المحسوس، وواضع الشريعة التوراتية التي أوجب على شعبه الامتثال لها[61]. لهذا يتصارع الوجود كله قوتان غير متساويتان، الإله الصانع الخالق *Démiurge* بما هو انعكاس للعدل، والإله الأعلى بما هو انعكاس لكل ما هو طيب، من هذا المنطلق تختلف ثنوية مرقيون عن ثنويات المعتقدات الشرقية القائمة على النور والظلمة وثنويات المسيحية الغنوصية القائمة على الخير والشر، من حيث أن مرقيون يقابل العدل بالغفران والقسوة بالمحبة[62].

بخلاف المعتقد الغنوصي الذي يقر بوجود نوع من الروابط بين الإله الصانع والإله الاعلى، نجد مرقيون ينفي وجود أي اتصال بين الإلهين ويضعهما في عالمين مفارقين لبعضهما[63]. ولو أنّه لم يُقدَّم لنا سببا واضحا لهذا التعارض، إلا أن بعض الإشارات المبثوثة في كتاباته قد تقوم مقام هذا التبرير،

(59) Brianchi, Ugo, Marcion: Théologien biblique ou docteur gnostique ?, Vigiliae Christianae, Vol.2, no.3, Amsterdam , North-Holland Publishing , (1967), p.141.

(60) ج. ويلتر، الهرطقة المسيحية، ص.64.

(61) Monceaux, Paul, Les Gnostiques. Deuxième Article (E. de Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Documents du Gnosticisme Chrétien aux IIe et IIIe Siècles), op.cit, p.75.

(62) Amann. E Marcion et le Marcionisme, Revues Des Sciences Religieuses, Tome.3, Fasc.1, (1923), p.116 .

(63) Monceaux, Paul, Les Gnostiques. Deuxième Article (E. de Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Documents du Gnosticisme Chrétien aux IIe et IIIe Siècles), op.cit, p.75.

من ذلك أن الوحي الإلهي تنزَّل مرتين إحداهما في العهد القديم والأخرى في العهد الجديد، أو أن المسيح المخلص Christ في العهد الجديد مختلف بحال من الأحوال عن المشيح Messie الذي تنبأ به العهد القديم، أو أن الإله الذي تجلى لموسى يختلف عن الإله الذي تجلى في المسيح[64]. لهذا تصوَّر مرقيون أن الإنسان الذي صنعه الإله الصانع روحًا وجسدًا، لا يملك أي قبس من العالم الإلهي. فداخل هذه الثنائية يؤدي المسيح دورًا مهمًا في توجيه مجريات الصراع، فمهمته لا تقتضي خلاص النفس انطلاقا من انفصالها عن شوائب المادة، إنما يتحقق بالإيمان به مخلصًا وابنًا للإله الأعلى، والإيمان به هو نهاية الصراع الذي يتحرر من خلاله الإنسان من هيمنة الإله الصانع وتتحقق سيادة الإله الأعلى[65]. فالخلاص المرقيوني، على خلاف باسيليد وفالنتين، لا يتحقق بالعرفان إنما بالإيمان، وهو محور التقاء العقيدة المسيحية مع الأنساق الغنوصية التي تُقاربها.

تقوم كرستولوجية مرقيون على مفاهيم تتقاطع في كثير منها مع المعتقد الدوستي Docetism[66] التي ينكر ولادة المسيح وآلامه على الصليب، بحيث تحتقر في مجملها المادة التي صنعها إله العهد القديم، وتعتبرها رديئة لا يمكن أن تعكس طبيعة المسيح الناسوتية المولودة من مريم العذراء، فلا يكمن أن يكون ظهور المسيح في العالم المادي إلا ظلًّا أو شبه جسم[67]. وكنتيجة لهذه الأفكار لم يدرج مرقيون في أنجيله نصوص العهد القديم باستثناء رواية «لوقا»، وألغى المقاطع الأخرى التي تتعارض مع الطبيعة الناسوتية للمسيح، خاصة تلك المتعلقة بِنَسَبه المتصل بسلالة داود، بالإضافة الى حذف عشرة رسائل من رسائل بولس[68].

فالمرقيونية واستنادًا إلى هذه الأفكار، دعوة إلى الامتناع عن اللذة المادية، خاصة الزواج الذي يُعتبر امتدادًا للمادة وإنتاجًا لمزيد من الأجساد التي تقع تحت سيطرة الإله الصانع[69].

---

(64) يُنظر:

برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، الفلسفة الهلنستية والرومانية، الجزء.2، ص.310.

Delphin, Prévost, Marcion: Sa Vie et son Système, Toulouse, lapié-Fontanel, (1856), p.7-8.

(65) Monceaux, Paul, Les Gnostiques. Deuxième Article (E. de Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Documents du Gnosticisme Chrétien aux IIe et IIIe Siècles), op.cit, p.75.

(66) Ibid, 75.

(67) Brianchi, Ugo, Marcion: Théologien biblique ou docteur gnostique ?, op.cit, p.145.

(68) Irénée de Lyon, Contre les Hérésies, Livre.3, op.cit, p.241.

(69) Brianchi, Ugo, Marcion: Théologien biblique ou docteur gnostique ? op.cit p.145.

## الخاتمة:

لا يمكن اعتبار الغنوصية عقيدة مكتملة الأركان يمكن أن ترقى إلى مستوى دين مكتمل على غرار سائر الأديان السائدة، بقدر ما هي تيار فكري أو حركة فلسفية، ونمط من الفكر الروحي الذي يسعى إلى التحرر وتحقيق المعرفة والتجربة الروحية العميقة.

شكَّلت فلسفة الغنوص تيارًا فكريًا متشعب الروافد في العالم المسيحي المبكر، فقد تأثرت الغنوصية بالتعاليم المسيحية الرسمية والديانات الشرقية المنتشرة، والفلسفة اليونانية والتصوف اليهودي، واستخدمت هذه الأفكار لتفسير المعتقدات المسيحية بطرق مختلفة عن التفسير التقليدي الرسمي.

تحظى الغنوصية المسيحية باهتمامٍ كبير في أوساط الدراسات الدينية المقارنة فيما يتعلق بتأويل المعتقدات، وسعي الغنوص إلى استخراج المعاني الدفينة التي تكمن داخل النصوص المقدسة، وتوظيف التأمل والتحليل الروحي والتأويل الرمزي، لاستكشاف باطن الإنسان واستجلاء المعاني الروحية داخله.

نجد ذاك ممثلًا بجلاء في المشترك العقدي من قبيلِ تفسيرِ أصل الشر في الوجود المادي الذي نتج لحظة خلق العالم، وصياغة مفهوم ضيق لكريستولوجيا المسيح الذي يرفض الغنوص ظهوره المادي وألمه على الصليب، وتفسير أصل الوجود وفق ثنوية متساوية الأطراف تقابل إرادة الخير بإرادة الشر بنفس القدر من الأهمية، واعتقاد الغنوص أن الحقيقة الروحية يمكن أن تُكتشف وتستمر عن طريق التجربة الشخصية والانغماس العميق في الروحانية، ما يجعل الخلاص مُمارسات روحانية عرفانية، وإيمان فردي ينبع من القلب والروح وليس فقط من أدوات العقل.

والواقع أنّ هذا المشترك حدَّدَ الإطار العام للغنوصية من حيث أنها تستمد قوتها الدينية الروحانية من النصوص المقدسة، وتعتمد على الثنوية الشرقية كركن أساسي في معتقداتها؛ هذا الإطار بدا واضح الملامح في المانوية التي شكَّلت إلى حدود القرن الخامس الميلادي تهديدا حقيقيا للكنيسة المسيحية.

يبقى النقاش حول الغنوصية المسيحية وتأويل المعتقدات موضوعًا مثيرًا للاهتمام، ومحل نقاش دائم في الدراسات اللاهوتية والفلسفية، بالنظر إلى أنه نسق فكري يعكس تعددية الفكر البشري وتنوعه، ويجعل هذا الفكر ممتدا زمنيا إلى التيارات الفكرية والفلسفات الدينية والمذاهب الصوفية التي ظهرت بعد العصر المسيحي المبكر والوسيط معا، واهتمت بشكل عام باستكشاف البعد الروحاني للإنسان، والبحث عن المعنى العميق للحياة والإيمان، والإجابة عن أسئلة الوجود والغاية والقيم في الحياة.

# المراجع

## باللغة العربية


- الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، ترجمة عن اللغة الأصلية، القاهرة، دار الكتاب المقدس، 2008م.
- إلياد، ميرسا، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، الجزء.2، دمشق، دار دمشق، 1987م.
- برهييه، اميل، تاريخ الفلسفة، الفلسفة الهلنستية والرومانية،ج2، بيروت، دار الطليعة، 1988م.
- تمودن، منير، جدل الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، مجلة مقاربات، فاس، المجلد12، العدد23، 2016م،107-128.
- تمودن، منير، مقاربة تاريخية لتبلور مفهوم سلطة الكنيسة: قراءة في تطور موقف أوغسطين من الإقناع إلى الإكراه في تدبير الإنشقاق الدوناتي، قضايا في اللسانيات المعاصرة والدراسات الثقافية، فاس، منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله، 2018م،1-14.
- ج. ويلتر، الهرطقة المسيحية، ترجمة: جمال سالم، بيروت، دار التنوير، 2007م.
- سفينسيسكايا، إ.س.، المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية: خفايا القرون، ترجمة: حسان مخائيل اسحق، دمشق، دار علاء الدين، 2008م.
- السواح، فراس، الوجه الآخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية واله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية، دمشق، درا علاء الدين، 2004م.
- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الجزء.1، بيروت، دار الكتاب اللبناني،1982م.
- القيصري، يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ترجمة: مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة، 1998م.
- الماجدي، خزعل، كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2014م.
- النشار، مصطفى، مدرسة الإسكندرية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، القاهرة، دار المعارف، 1995م.
- يوستينوس، الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى، ترجمة: أمال فؤاد، القاهرة، دار باناريون، 2012م.

## Arabic references


- Al-Kitāb al-Muqaddas (al-ʿahd al-qadīm wa-al-ʿAhd al-jadīd), tr: ʿan al-lughah al-aṣlīyah, Al-Qāhirah, Dār al-Kitāb al-Muqaddas, 2008.
- Eliade, Mircea , Tārīkh al-afkār wa-al-muʿtaqadāt al-dīnīyah, tr: ʿAbd al-Hādī ʿAbbās, V. 2, Dimashq, Dār Dimashq, 1987.
- Brhyyh, Imīl, Tārīkh al-falsafah, al-falsafah alhlnstyh wa-al-Rūmānīyah, V2, Bayrūt, Dār al-Ṭalīʿah, 1988.
- Tmwdn, Munīr, jadal al-falsafah al-Masīḥīyah fī al-ʿaṣr al-Wasīṭ, Majallat muqārabāt, Fās, V12, issue23, 2016, 107-128.
- Tmwdn, Munīr, muqārabah tārīkhīyah ltblwr Mafhūm Sulṭat al-Kanīsah: qirā'ah fī Taṭawwur Mawqif Ūghsṭīn min al-Iqnāʿ ilá al-Ikrāh fī tadbīr al-inshiqāq aldwnāty, Qaḍāyā fī al-lisānīyāt al-muʿāṣirah wa-al-Dirāsāt al-Thaqāfīyah, Fās, Manshūrāt Jāmiʿat Sīdī Muḥammad ibn ʿAbd Allāh, 2018, 1-14.
- J. wyltr, alhrṭqh al-Masīḥīyah, tr: Jamāl Sālim, Bayrūt, Dār al-Tanwīr, 2007.
- Sfynsyskāyā, I. S., al-Masīḥīyūn al-Awā'il wa-al-imbrāṭūrīyah al-Rūmānīyah: Khafāyā al-qurūn, tr: Ḥassān Mikhā'īl Isḥāq, Dimashq, Dār ʿAlā' al-Dīn, 2008.
- Al-Sawwāḥ, Firās, al-Wajh al-ākhar lil-Masīḥ: Mawqif Yasūʿ min al-Yahūd wa-al-Yahūdīyah wālh al-ʿahd al-qadīm wa-muqaddimah fī al-Masīḥīyah al-Ghunūṣīyah, Dimashq, Dār ʿAlā' al-Dīn, 2004.
- Salībā, Jamīl, al-Muʿjam al-falsafī, V. 1, Bayrūt, Dār al-Kitāb al-Lubnānī, 1982.
- Alqyṣry, ywsābyws, Tārīkh al-Kanīsah, tr: Murqus Dāwūd, al-Qāhirah, Maktabat al-Maḥabbah, 1998.
- Al-Mājidī, Khazʿal, Kashf al-ḥalaqah al-mafqūdah bayna Adyān al-taʿaddud wa-al-tawḥīd, al-Dār al-Bayḍā', al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 2014.
- Al-Nashshār, Muṣṭafá, Madrasat al-Iskandarīyah bayna al-Turāth al-sharqī wa-al-falsafah al-Yūnānīyah, Al-Qāhirah, Dār al-Maʿārif, 1995.

- Ywstynws, aldfāʿān wa-al-ḥiwār maʿa tryfwn wa-nuṣūṣ ukhrá, tr: Amāl Fu'ād, al-Qāhirah, Dār bānārywn, 2012.

## باللغات الأجنبية

- A.J. Festugiere, O.P, La Révélation d'hermès Trigemeste: Le Dieu et La Gnose, vol.4, Paris, Les Belles Lettres.
- Amann.E, Marcion et le Marcionisme, Revues Des Sciences Religieuses, Tome.3, Fasc.1, 1923, 111-118
- Augustin, Saint, contre Julien le Pélagien, livre.4, Œuvres Complètes de Saint Augustin, Traduction: M. L'abbé Berleraux, Tome.16, Bar-Le- Duc: L.Cuérin Editeur, 1804, 75-267.
- Bianchi, Ugo, Les Origines du Gnosticisme, Le Colloque International Sur les Origines du Gnosticisme, Numen, Vol.13, Fasc.2, 1966, 151-160.
- Bréhier, Emille, Les Idées Philosophique et Religieuses de Philon d'Alexandrie, Paris, Librairie Alphonse Picard et Fils, 1908.
- Dart, John and Ray, Riegert, The Gospel of Thomas: Unearthing the Lost Word of Jesus, Oxford University Press, Ulysses Press, 2000.
- Delphin, Prévost, Marcion: Sa Vie et son Système, Toulouse, lapie-Fontanel, 1856.
- Irénée de Lyon, Contre Les Hérésies, Traduction: F. Sagnard. O.P, Paris, Edition du Chef, 1952.
- Lindon say Jones, Encyclopedia of Religion, USA, V3, Editor in CHIEF, 2005.
- Pagels, Elaine, The Gnostic Gospels, New York, Vintage Books. A division of Random House.Inc, 1989.
- Paul Monceaux, Les Gnostiques. Deuxième article (E. De Faye. Gnostiques et Gnosticisme. Etudes Critiques des Document du Gnosticisme Chrétien aux IIe et IIIe Siècles) », Journal des Savants, 16e années, 1918.

- Roehrich, Louis, Recherches Historique et Critiques sur Origène, Genève, imprimerie CH. gruaz, 1835.
- Rudolph, Kurt, Gnosis: The Nature and History of Gnosticism, translation: Robart McLachlan Wilson, New York, Harper San Fransisco, 1984.
- S. pétrement, La Notion de Gnosticisme, revues de métaphysique et de morale, Presses Universitaires de France, No.4, 1960, 385-421
- S.RadhaKrishnan, Eastern Religions and Western Thought, New York, Oxford University Press, A Galawy Book, 1959.
- Saint Augustin, les Confessions, Livre.7, Traduction: L. Moreau, Paris: Gaume Frères et J. Duprey, 1860, p.219-220
- The Book of Thomas the Contender, translation: John D. Turner, The Nag Hammadi Library, San Francisco: Harper Collins, 1990.
- The Nag Hammadi Scriptures, The Gnostic Scriptures Complete in one volume, Edition: Marvin Meyer, New York, H. Pagels. HarperOne, 2008.